موضوع الخطبة : نِعْمَةُ المَال

الحمدُ للهِ الَّذي أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللهِ، إِنَّ المَالَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفَضْلٌ جَلِيلٌ، جَعَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قِوَامَ الحَيَاةِ، وَسَبَبًا فِي قَضَاءِ الحَوَائِجِ، وَبِنَاءِ الدُّنْيَا، وَإِعْمَارِ الأَرْضِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء: 5)، فَسَمَّى المَالَ قِيَامًا لِأَنَّ بِهِ تَقُومُ المَعَايِشُ وَتَسْتَقِرُّ الأُمُورُ.

إِخْوَتِي فِي اللهِ، المَالُ فِي نَفْسِهِ لَيْسَ مَذْمُومًا، بَلْ هُوَ مَحْمُودٌ إِذَا أُخِذَ مِنْ حِلِّهِ، وَوُضِعَ فِي حَقِّهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ" (رواه أحمد). فَالمَالُ الصَّالِحُ بِأَيْدِي الأَخْيَارِ يَكُونُ سَبَبًا فِي نَفْعِ النَّاسِ، وَإِغَاثَةِ المَلْهُوفِ، وَبِنَاءِ المَسَاجِدِ، وَرِعَايَةِ الأَيْتَامِ، وَنَشْرِ العِلْمِ، وَسَدِّ حَاجَةِ المُحْتَاجِينَ.

أَيُّهَا الأَحِبَّةُ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ المَالَ مَقْصُودٌ لِذَاتِهِ، فَيَسْعَى فِي جَمْعِهِ مِنْ حِلٍّ وَحَرَامٍ، وَيَنْسَى أَنَّهُ أَمَانَةٌ وَسَتُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ. قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ... وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ" (رواه الترمذي).

فَاحْذَرُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- أَنْ يَكُونَ المَالُ سَبَبَ شَقَائِكُمْ، وَاجْعَلُوهُ سَبَبَ سَعَادَتِكُمْ وَفَوْزِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، وَيَبْتَلِي الغَنِيَّ وَالفَقِيرَ عَلَى حَدٍّ سَوَاء.

وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: 46). فَالمَالُ يَذْهَبُ وَيَفْنَى، وَإِنَّمَا يَبْقَى مَا أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ.
المال إذا كان في يد العبد الصالح، وصُرف في طاعة الله، كان نعمة وبركة، ووسيلة للجنة، لكن إذا استُعمل في الحرام أو الإسراف أو البخل، كان وبالاً على صاحبه، وسببًا لهلاكه في الدنيا والآخرة.

فَاسْتَعْمِلُوا -عِبَادَ اللهِ- نِعْمَةَ المَالِ فِي البِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَابْتَغُوا بِهِ وَجْهَ اللهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْضَلَ النَّفَقَةِ مَا كَانَ عَلَى النَّفْسِ وَالأَهْلِ، ثُمَّ عَلَى ذَوِي الحَاجَةِ وَالمَسَاكِينِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَخْزُونٌ عِندَ اللهِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

هذا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى خَيْرِ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، كَمَا أَمَرَكُمُ المَلِيكُ المُعِينُ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 56).

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك.